٣- الدولة السبأية

ورد اسم سبأ في روايات كثيرة ومختلفة ، ففي التوراة ورد الاسم في عدة مناسبات ، منها أن سبأ من كوشن بن حارم ، وفي رواية أخرى انها من ولد يقطان (١) . أما في الروايات العربية ، فقد ورد أن سبأ من ولد يشجب بن يعرب بن قحطان ، وأن اسمه الحقيقي عبد شمس (٣) ، وذكر اليعقوبي ان سبأ أول من ملك من ملوك العرب ، وسار في الأرض ، وسبي السبايا (٣) وقد جاء ذكر السبئيين في حوليات الملك تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥ ق . م - ٧٢٧ ق . م) ، وفي نقوش سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٠ ق . م) ، ونقش يرجع الى عهد سنحاريب حوالي ٦٨٥ ق . م ، وتشير هذه النقوش الى هدايا كان يقدمها الحكام السبئيين الى هؤلاء الملوك (٤) . أما عن أصل السبئيين ، فيرى « هومل » أنهم كانوا في الأصل يسكنون الجوف في بلاد العرب الشمالية ، ث انحدروا نحو الجنوب في القرن الثامن قبل الميلاد ، حيث اتخذوا أصرواح » أول الأمر عاصمة لهم ، ثم انتقلوا فيما بعد إلى مأرب (٥) . ويرى بعض الباحثين أن نزوح السبئيير إلى جنوب الجزيرة كانت تيجة ضغط الآشوريين عليهم من الشمال ، فاستقروا في بلاد اليمن ، مستفيدين من ضعف المعينيين من جهة ، وتعاظم قوتهم العسكرية من جهة أخرى ، فامتد نفوذهم الى الجوف (١) . واستغل السبايون موقع بلادهم المطل على طريق الهند والبحر الأحمر ، فسيطروا على الطريق التجاري الرئيسي الذي يربط جنوب الجزيرة العربية بالشام ومصر ، مما ساعد على عظم ثرواتهم ، وقد أشار القرآن الكريم الى هذا الثراء ، فقال تعالى : (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية . جتان عن يمين وشمال . كلوا من رزق ربكم واشكروا له . بلدة طيبة ورب غفور) (٧) . وتفيد المعلومات المستمدة من الكتابات والنقوش السباية أن أول مغرب سبأي يرجع اليه الفضل في تأسيس دولة سباية في صرواح هو المكرب (سمه علي) ، وذلك في حدود سنة ٨٠٠ ق . م ، وقيل أن هذا المكرب قدم بجحافل السبئيين من الشمال واجتاح بلاد المعينيين ومن جاورهم من الحضارمة والقتبانيين ، وذكرت النقوش أيضا أن سمة على قدم هدية من البخور والمر للاله (المقه) الذي أرشد القبيلة بعد تجوالها

إلى أرض فيها اللبن والعسل. وقد اصطلح العلماء على تقسيم الدولة السببأية إلى عصرين : - العصر الأول : عهد الملكربين (٨٠٠ ق . م - ١٠٠ ق . م) وهو أقدم عهد من عهود تاريخ سبأ ، وقد تلقب حكام . سبأ في هذا العهد بلقب (معرب) أي : المقرب بين الآلهة والناس ، أو أنها تعني المقدس (٣) ، وكأن هؤلاء الحكام في الواقع كهانا ، مقامهم مقام المزواد عند المعينيين ، وكانت العاصمة صرواح ثم انتقلت إلى مأرب . - العصر الثاني : عهد ملوك سبأ (٩٠٠ ق . م س ١١٥ ق . م) وهو العهد الذي تلقبت فيه حكام سبا بلقب (ملك . سبأ) ، وكانت مأرب عاصمة السبئيين . عهد الكربين . أول مكارب سبأ هو (سمه علي) الذي يعتبر مؤسس دولة سبأ . وقد خلفه في الحكم ابنه يدع ايل ذريح في حدود سنة ٧٨٠ ق. م وينسب الى هذا المكرب بناء المعابد في صرواح ومأرب للاله المقة ، وقدم القرابين الى الابه عثتر

وجاء يعد بدع ايل ذريح ولده يشع أي ، الذي ينسب اليه بناء معبد الاله المقة في قرية دابر في منتصف الطريق بين مأرب ومعين في الجوف مما يؤيد اصطدام السبايين في تلك الحين بالمعينيين ، وتولي الحكم بعد هذا المكرب ابنه يبدع آل ي ، الذي قام بتحصين ابراج مدينة نشق في الجوف عند حدود الدولة العينية ثم تولى الحكم في سبا سمه على ينف بن ذمر ، الذي تم في عهده انشاء اعظم مشروع للري عرفته بلاد العرب في العصر القديم وهو (سد مأرب) الذي عرف بسد رحب أو رحبم في سنة ٦٥٠ ق . م وقد اقيم هذا السد على مدخل وادي ذنة بمأرب حيث تنساب المياه من فوق التلال والجبال ، فنظم بذلك وسائل الري وجعل الأرض صالحة للزراعة طوال العام - ويبلغ طول هذا السد من الشرق الى الغرب نحو ٨٠٠ ذراع ، وعلوه بضعة عشر ذراعا وعرضه ١٠٠ ذراعا . والسد مبني بالتراب والحجارة ينتهي اعلاه بسطحين مائلين على زاوية منفرجة تكسوهما طبقة من الحصى كالرصيف . يمنع انجراف التراب عند تدفق المياه ويستند هذا السد من طرفيه على جبلين (هما جبل بلق الايمن ، وجبل بلق الأيسر) وعند كل منهما تتفرع ، القنوات التي كانت تعترف بالميازيب مفردها ميزاب ، وعلى فتحة كل قناة سد آخر ذو فتحة مبنى بالحجارة و بذلك تنحصر مياه السيول بين الجبلين ، ويرتفع مستوى الماء دي يقارب مستوى الجبلين ، وتتم عملية الأرواء بفتح فوهات القنوات فدخل منها المياه وتندفق على سطح الجبلين ، وتغلق هذه القنوات بعد

عملية الإرواء بابواب من الخشب والحديد غير أن هذا السد لم يف بكل حاجات الأراضي المزروعة م ن المياه ، فتولى يشع امر بين وهو ابن سمه على ينف ، استكمال بناء السد الذي أقامه والده فزاد فيه طولا وعرضا وارتفاعا ، وانشأ س دا جديدا عرف بسد حبابض ، فزادت بذلك مساحة الأراضي المزروعة زيادة كبيرة ، وعظمت ثروات البلاد ، وجني السبأيون ارباحا طائلة وبفضل هذا السد ازدادت أهمية مأرب وأصبحت عاصمة للسبايين بدلا من صرواح ، وقام يشع أمر بين بعدة حملات عسكرية ضد القبائل والدويلات المجاورة ، كما دلت على ذلك النقوش التي عثر عليها في مأرب (٢) . بناها بجبل بلت ، واقامة بابين لها . وبناء عدد من السدود ، منها س د وينسب الي يشع أمر بين ايضا تحصين مدينة مأرب بالبروج التي كهلم ومنهيت ومقران (٣) . . ويعتبر كرب آل وتر آخر مكارب اليمن وهو أول من أتخذ لقب الملك وقد اتبع هذا الملك سياسة عسكرية تقوم على التوسع ، فحالف الملك « يدع ايل » ملك حضر موت « ودار وايل » ملك قتبان وهاجم مملكة أوسان التي كانت قد ظهرت في الجنوب الغربي من اليمن وتحكمت في

حضرموت وسيطرت على الطرق التجارية الآية منها ، مستغلة في ذلك ضعف القتبانيين . فتمكن كرب آل وتر من القضاء على هذه المملكة واخضاع عدد من القبائل المتحالفة معه ، وتمت له السيطرة على طرق تجارة البخور الآتية من الجنوب (٣) و ملوك سبا : . كان كرب آل وتر أول ملوك سبأ ويرجع اليه الفضل في توطيد كيان الدولة السبأية وتأمين سلامتها ، بما حققه من الانتصارات على الدولة المعينية والامارات المجاورة لها . وقد تتابع على حكم سبأ عدد من الملوك منهم (سمه علي درح) وابنه (الشرح) الذي ينسب اليه بناء جدار المعبد الاله المقة في محرم بلقيس بمأرب ورم ابراج هذا المعبد وحفر الخنادق (٤) . . ثم توالى على حكم هذه الدولة عدد من الملوك الذين دخلوا في صراع مع الدولة القتبانية انتهى بالقضاء على استقلال قتبان ، ومند سنة ٠٠٠ ق . م بدأت تظهر أسرات قوية على مسرح الأحداث في اليمن وقد تمكن بعض هذه الأسرات وهي الأسرة الهمدانية من اغتصاب العرش من ملوك سبأ في بعض الفترات ، ولمعت أسماء آلهة جديدة لم تكن لها شأن خطير قبل هذا العهد وهي آلهة برزت بفضل هذه الأسر التي كانت تعبد لها مثل : تألب ريام ، وذو سماوى (ذو السماء) أو رب السماء وظهرت نعوت جديدة لم تكن مستعملة في أيام المربين ولا عند

هؤلاء الملوك الذين خلفوهم ، وهي نعوت قريبة من النعوت التي كان يستعملها القتبانيون ، مثل : يهأمن ويهنعم ويهرجب ، ويدل ظهور ه ذه الأسماء في الكتابات على حدوث تطور خطير في حكومة سبأ ، وعلى تغير مهم في الاتجاه العام في السياسة وفي الدين والاجتماع . وفي سنة ٣٠٠ ق . م تولى عرش سبأ (الكرب يهنعم) وأسس أسرة ملكية ثالثة أصلها من حدقان شمالي صنعاء . ودخل ملوك هذه الأسرة في حروب طويلة مع الامارات والقبائل المجاورة أضعفت الدولة السبئية وأتاحت للدول الأجنبية التدخل في شؤونها ، وفقدت سبأ سيطرتها على البحر الأحمر وسواحل افريقيا بعد أن انتقلت التجارية البحرية من أيديهم الى اليونان والرومان ثم تمكن (نصر يهنعم) من تأسيس الأسرة السباية الرابعة في س ة ٢٠٠ ق . م ودخل ملوك هذه الأسرة في صراع عنيف مع الريداينين من حمير ، انتهى با تصار أهل ريدان وانتزاعهم العرش من السبئيين ، حيث أسسوا في سنة ١١٠ ق . م أسرة جديدة تلقب ملوكها بلقب (ملوك سبأ وذي ريدان) وهم الحميريون الذين نقلوا العاصمة السباية الى ظفار. أما عن نظام الحكم في سبأ فقد كان الملك يقوم بالحكم ويتولى قيادة الجيش في الحروب وكان يساعده مجلس شعبي ، كما كان هناك موظفون يرثون مناصبهم يسمى كل منهم (الكبير) ، وقد كون هؤلاء بمرور الزمن طبقة وراثية حلت محل المجلس الشعبي ، ثم اصبحوا فيما بعد

طبقة اقطاعية أدت الى اضعاف سلطة الملك وكانت الادارة تعتمد على ملكية الأرض ، وتفرض الضرائب أي ارض والتجارة كما كانت تفرض ضرائب استثنائية الغرض منها هد نفقات الحملات الحربية وقد جنى السبأيون أرباحا طائلة . التجارة ، بحكم موقعهم الجغرافي ، فقد كانت القوافل الآتية من الهند وبلاد الحبشة والمحملة بمختلف أنواع الطيوب والبخور والتوابل تنقل من شواطيء الجزيرة العربية إلى مصر والشام والعراق وكانت صعوبة الملاحة في البحر الأحمر تجعل طريق البر مفضلا في نقل البضائع بين بلاد الشام ، و كان خط سير القوافل التجارية يبدأ من شبوة في حضرموت ويتجه شمالا إلى يثرب ومنها الى مكة ، ثم البتراء ، فغزة على ساحل البحر المتوسط وكان من نتيجة هذا الرخاء الاقتصادي واتساع ثروات البلاد ، أن امتد نفوذ السبابين الى اطراف الجزيرة العربية شمالا وشرقا واحتفروا الترع وبنو السدود وحولوا الرمال إلى تربة خصبة وشيدوا القصور والمحافد والهياكل وتفننوا في تزيينها وزخرفتها واقاموا حولها الأسوار واغترسوا الحدائق

المصادر

١- رشيد الجميلي, تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية.

٢- صالح احمد العلي, محاضرات في تاريخ العرب.